لماذا أنا دائم الغضب ؟

سهيل سامي نادر

يسألني زملائي في (المدى) لماذا أنا دائم الغضب، أوعلى حد تعبير رئيس التحرير زهير الجزائري متشنج في ما أكتب، أهجم كالثور الهائج ولا آخذ ولا أعطي؟ إنهم ينسون أنني هازل، وبعض مرحي صاخب، وكركراتي تشبه ضحكات موزارت، وأنني.. ماذا؟ دعوني أعترف بأنني غاضب، هذا صحيح ، وأنني في هزلي أخفف عن نفسي، لكي أنسى، ولكي لا أتكيف مع أية عاطفة جادة تترتب عليها مسؤوليات اضافية في عملي وحياتي. والأمر ببساطة أنني أكره السياسة، ولاسيما في نسختها العراقية، ولا آخذ مأخذ الجد أي سياسي عراقي لا قديما ولا حديثا، لأنهم جميعا أصحاب عداوات ودعاوى ومتظاهرون يخفون أفكارهم الحقيقية ولا يتعلمون من التجربة. ومشكلتي هنا أنني يجب أن أكون صاحب مواقف سياسية على هذا النحو أو ذاك ما دمت أعمل في صحيفة سياسية، وبهذا المعنى فعلي أن أتكيف لمواقف الآخرين وأكون حذرا مثل ثعلب أو كذاب، وأن أكون باطنياً، أضمر وألعب ثم تأتي النتائج السياسية على خلاف من توقعاتي فإذا بي أصيح بالآخرين من الحنق: ألم أقل لكم هذا بروح أمواتكم!

من الصعب على الصحفي المستقل أن لا يغضب من التفاهة التي تصدر عن الساسة، ومن الأخبار غير المعقولة التي يسمعها ويجد نفسه لا حول ولا قوة. الصحفي العراقي مسكين وضع دائما موضع الخادم المتملق الذي يكتب وهو غير مؤمن، وإذا آمن بشيء فلا يستطيع تحويله الى كتابة، وإذا ما تجرأ فسيكتب بلغة المتمحل الذي يبدو فيها كذابا. إنه من التأجيل يكاد يكون متأخراً جداً على حساسية مهنته للزمن، وعلى نحو ما يطور لامبالاة كريهة تختلط بالمرح والهزل ثم الكتابة عن أشياء لا يرغب فيها ولا يعرفها. ويزداد الأمر حرجا عليه عندما لا يفهم، أو عندما (يسطره) تصرف سياسي غبي وغير معقول الى حد الفضيحة، عندها يتحرك الإنسان السياسي الذي في داخله فيلطم رأسه مرددا: هذا غير معقول.. مستحيل.. ليس بهذا الغباء.. فأنا الغبي المزمن لاحظت هذا.. لا..لا!

بعد اجتياح صدام الكويت بأيام تسلمت تعميما بضرورة التثقيف بالضربات الكتلوية. وجدت الأمر مضحكا ومخيفا، واعتقدت أنها واحدة من عبقريات وزير الإعلام، فمزقت التعميم وطلبت من بعض المحررين الاكتفاء بالكتابة عن دور الدفاع المدني. لكن التعميمات بهذا الشأن توالت، وفهمت أنها صادرة عن الرئاسة، وإذا بالتثقيف يتناول طلاب المدارس وأهاليهم، حتى وصل الى محررينا ووزارة الإعلام كلها. كان التثقيف مخيفا، فهو يتضمن تعليمات أن نكون تحت الأرض وأن نأخذ معنا أكياس نايلون كبيرة من تلك التي نستعملها للزبالة لكي نلف بها جثث أطفالنا الذين هم أسرع موتاً منا نحن الكبار. لقد امتلأ الناس رعبا والحرب لم تقم بعد. أليس غريبا أن يتوجه نظام الى الحرب وهو ينشر الرعب بين شعبه. أي حرب هذه وكيف نربحها !؟ ولأني عقلاني وأخلاقي أخبرت رئيس تحريري بما اعتقدت أنه غباء سياسي لا يمكن السكوت عليه، كما طلبت منه أن يخبر المسؤولين بالمخاطر السياسية والنفسية لهذه الحملة. ما زلت أذكر ضحكته. أجابني: هل أنت جاد؟ ثم رحنا نضحك معا على ما يحدث وما سوف يحدث. إلا أنني واصلت التفكير بهذه القضية جدياً، ولاسيما بعد أن حدث ما توقعت، فما أن أصبحت الحرب حتمية حتى بدأت هجرة سكان العاصمة الى الريف أو أية مدينة تبعدهم قليلا عن مخاطر الضربات الكتلوية، ثم عادوا والحرب ما زالت قائمة بعد أن تأكد لهم أن الموضوع كله ليس سوى مهزلة.

حتى الى سنوات قليلة لم أستطع أن أستوعب سر ذلك الغباء السياسي. كنت أفكر على قدر حالي كإنسان يحب وطنه ويشعر بأهمية أن يكون أخلاقيا وعقلانيا يمنع الأذى عن بلاده ويقدم النصيحة التي يقدر عليها. ولكن ما عرفته في ما بعد أغاظني أكثر وجعلني ألطم رأسي حنقا: فذلك التعميم كان يراد به إخافة العدو بجعله يصدق!

بالقياس الى النتائج فنحن وحدنا الذين صدقنا، ونحن وحدنا الذين جرى التآمر على حياتنا. لكن الغريب أن رئيسنا كان يصدق هو نفسه ما أراد لعدوه أن يصدقه، بل أنه كان يصدق ما يقوله ويتمناه ولا يصدق النتائج السياسية التي كان يصنعها بيديه. فهل نحن في حقل السياسة أم الجنون؟

تذكرت هذه الحكاية واستعدتها عندما استمعت الى تصريحات الدكتور أياد علاوي وهو يطمئننا بأن بعض الدول العربية قد تبرعت لنا بأسلحة ومدرعات. دعوني أصارحكم بأنني شعرت بالخوف وليس بالاطمئنان. خوف ناتج من مفارقة محسوسة تتعب العقل والفؤاد، لأنها مفارقة ذات رأسين بل ثلاثة وأربعة رؤوس، بما يجعلها تحادد الجنون. فالعراق كان مخزن أسلحة وما زال: هذا هو الرأس الأول ! قوات الاحتلال أتلفت وفجرت مئات الأطنان من الأسلحة في الوقت الذي كانت فيه الشرطة العراقية ولا تزال بأدنى مستوى من التسليح: هذا هو الرأس الثاني! وأمام سمع وبصر قوات الاحتلال جرى تفكيك معدات الجيش العراقي الثقيلة وآلياته وحتى طائراته الحربية وبيعت الى دول الجوار الأردن وإيران وسوريا كخردة: هذا هو الرأس الثالث ! أما الرابع، ويشكل متوالية عددية من المفارقات، فيتلخص ببساطة بأن العراق محتل من أقوى دولة في العالم ومن قواتها الأكثر تطورا في تكنولوجيا الحرب، وعلى الرغم من ذلك فنحن العراقيين لم نعد نشعر بالأمان، وأكثر من هذا يتصدق علينا بعض الدول العربية بالأسلحة والمعدات!

إذا لم تكن هذه مفارقة محزنة فكيف تكون؟ أليس من حقي أن أخاف أكثر من ذي قبل؟ ألا تقربنا مثل هذه الحقائق المخزية من الجنون المطبق؟

تمر مثل هذه المفارقات المجنونة مثلما مرت عشرات غيرها أو أتعس منها طيلة التاريخ السياسي للعراق الحديث. إنني لن أنفي وجود جنون سياسي متجذر في العراق، فالعذاب الذي يطول مع الكذب والدجل والعنف والنفاق والفساد والانتظار وعدم الجدوى واليأس والتيئيس واللصوصية، تنداح كلها في حوامضنا النووية الغامضة، في الكروموسومات، في ثقافة مهلهلة منخوبة تناقش الأفكار ولا تنتجها، في بؤس التجريد المتعاظم، في نزعاتنا المتورمة الى القيادة والزعامة وسط الخراب المعمم، يتحول كل هذا إلى جنون مطبق.

أيها السادة: لماذا يجب أن لا نغضب؟ أنا غضوب طوال الوقت، وأشتم طوال الوقت: الاميركان الذين لم يحترموا أمننا واستقلالنا السياسي والاجتماعي، وماضينا السياسي المملوء بالأخطاء والجرائم، وقادتنا الذين يعتقدون أنهم من طينة خاصة، ومفخخي السيارات الذين يقتلون أهالينا، والجزارين الذين يذبحون ضحاياهم ذبح النعاج ولا يتذكرون قول المسلم المهذب عبد الله ابن عمر لمصعب بن الزبير بعد قتله الثقفي مع آلاف من بؤسائه: والله لو كانوا من شاة أبيك لكان هذا اسرافا منك!

رأي الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس بالإرهاب

ترجمة / فالح حسن

سبق أن نشرت (المدى) وجهة نظر الفيلسوف جاك دريدا بالإرهاب من خلال حوار أجرته جيوفانا يورادوري، وقد صادف النشر موت دريدا وضم إلى ملف خاص عنه. وفي ما يأتي ننشر وجهة نظر الفيلسوف الألماني هابرماس بالإرهاب، إذ يرى إن الإرهاب هو نتيجة للصدمة التي أحدثتها الحداثة التي اتسعت في اصقاع العالم بسرعة مذهلة.

❖ماذا تقصد بالضبط بالإرهاب؟ هل بإمكاننا التمييز بتعقل بين إرهاب محلي وإرهاب شامل؟

- يبقى عنف الفلسطينيين، إلى حد ما، إرهاباً من النمط القديم تقريباً. فهنا يتعلق الأمر بالقتل، والاغتيال؛ والهدف هو إفناء الأعداء، بطريقة عمياء. إنها الحياة ضد الحياة. أنه يختلف بهذا النحو عن الإرهاب الذي مورس في حرب العصابات تحت شكل شبه عسكري، والذي حدد وجه حركات تحررية عديدة في النصف الثاني من القرن العشرين، وما زال يدعم اليوم أيضاً، على سبيل المثال، نضال الشيشان من أجل الاستقلال. في مقابل هذا، يحمل الإرهاب الشامل، الذي بلغ ذروته في اعتداءات ١١ من أيلول في العام ٢٠٠١، ملامح فوضوية لتمرد عاجز، كونه يقاد ضد عدو يتعذر قهره، بالتعابير التداولية لفعل خاضع إلى غائية. والأثر الوحيد الممكن من ورائه هو غرس إحساس بالصدمة والقلق لدى الشعوب والحكومات. فمن وجهة نظر تقنية، إن الحساسية العالية بالتدميرية لدى مجتمعاتنا المعقدة تقدم فرصاً مثالية لحدوث قطع دقيق للنشاطات الجارية، قادر على التسبب بأضرار بالغة بأدنى التكاليف. إذ يدفع الإرهاب الشامل بمظهرين إلى أقصى حد: غياب الأهداف الواقعية والقدرة على انتزاع منافعه من انجراحية الأنساق المعقدة.

❖أينبغي علينا تمييز الإرهاب عن الجرائم المألوفة وعن الأشكال الأخرى في اللجوء إلى العنف؟

- نعم ولا. فمن وجهة نظر أخلاقية، إن العمل الإرهابي، مهما كانت بواعثه ومهما كان الوضع الذي يرتكب فيه، غير معذور بأي شكل من الأشكال. فما من شيء يجيز أن "نأخذ بالحسبان" غايات منحها أحد ما بنفسه لنفسه ليسوغ بعد ذلك موت وألم شخص آخر. فاي قتل يرتكب هو إسراف. لكن من وجهة نظر تاريخية، يدخل الإرهاب في سياقات جد مختلفة عن السياقات التي تنهض عليها الجرائم التي يعنى بها القانون الجزائي. فهو يستحق، على خلاف الجرم الشخصي، اهتماماً عاماً ويتطلب نمطاً آخر من التحليل غير الذي تتطلبه الجريمة العاطفية. ولم يكن الوضع ليس بهذا الحال، ما كنا لنجري هذا اللقاء.

إن الاختلاف بين الإرهاب السياسي والجريمة العادية يتجلى بنحو خاص عندما تأتي بعض التغييرات في نظام الحكم بارهابي الأمس إلى السلطة وتصنع منهم ممثلين محترمين لبلدهم. يبقى أن مثل هكذا تحول سياسي لا يمكن أن يأمل به سوى إرهابيين يسعون، بطريقة عامة، بواقعية وراء أهداف سياسية مفهومة ويمكنهم، نظراً لأفعالهم الإجرامية، اكتساب شرعية معينة من باب لم يكن لديهم خيار في الخروج من وضع جائز ظاهراً. لكني لا أستطيع أن أتصور اليوم أي سياق قد يسمح يوماً ما بجعل جريمة ١١ من ايلول الوحشية، على غموضها، فعلاً سياسياً، وبأية صفة إدعاء كانت.

❖اتعتقد أن من الجيد تأويل هذا الفعل على إنه إعلان حرب؟

- حتى لو كانت كلمة "حرب" أقل عرضة للبس وهي، من وجهة نظر أخلاقية، أقل عرضة للنظر من الخطاب الذي يستدعي "الحرب الصليبية"، فإن قرار بوش الداعي إلى "حرب على الإرهاب" يظهر لي زللاً ثقيلاً، من وجهة نظر معيارية كما من وجهة نظر براغماتية. فمن وجهة نظر معيارية، هو يرفع هؤلاء المجرمين إلى مصاف محاربين أعداء، ومن وجهة نظر براغماتية، من المحال القيام بالحرب - إن كان علينا الاحتفاظ بأي معنى محدد لهذا الاصطلاح - ضد "شبكة" يصعب كثيراً تحديد هويتها.

❖لو صح أن على الغرب أن يطور حساسية أكثر اتساعاً في علاقته مع الحضارات الأخرى، فكيف له أن يفعل ذلك؟ أنت تتحدث بهذا الصدد عن "ترجمة"، وبحث عن "لغة مشتركة". ماذا تقصد بذلك كله؟

- منذ ١١ من أيلول، لم أتوقف عن التساؤل، بالقياس إلى أحداث بهذا العنف، عما إذا كان كل تصوري عن النشاط الموجه نحو التوافق ليس في طريقه إلى السقوط في الهزل - تصوري الذي بت أطوره منذ "نظرية التصرف الإتصالي". أكيد، حتى في قلب مجتمعات غنية وهادئة، من الأعضاء في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ((OCDE، نعيش أيضاً في مواجهة نوع من العنف البنيوي- وفوق ذلك اعتدنا عليه، وهو الذي صنع من مظالم اجتماعية محطة، ومن تمييزات مهينة، ومن إفقار وتهميش. والحال هذه، وتحديداً في الإطار الذي يجتاز فيه العنف والنشاط الستراتيجي والتلاعب علاقاتنا الاجتماعية، لربما ليس علينا تفويت واقعتين أخريين.

فمن جانب، هناك الممارسات التي تشكل حياتنا مع آخرين، في الحياة اليومية، والتي تقوم على قاعدة صلدة ذات خزين قناعات مشترك، وعناصر ندركها على إنها بديهيات ثقافية، ووعود متقابلة. في هذا السياق، ننسق أفعالنا في الوقت الذي نلجأ فيه إلى ألعاب اللغة العادية، ونرفع بعض أفعالنا على البعض الآخر بمتطلبات الصلاحية التي نعترف بها في الأقل بطريقة مضمرة - وهذا ما يشكل الحيز الشعبي للسباب الشرعية أو الأدنى شرعية. عليه هذا يفسر، من جانب، الواقعة الثانية: عندما يضطرب التواصل، عندما لا يتحقق الفهم أو يساء، أو عندما يختلط فيه التدليس أو التغرير، تظهر صدامات مثل تلك التي تنزل في ساحة الخبير بالمداواة أو أمام المحكمة، إذا كانت تبعاتها مؤلمة بنحو كاف.

يبدأ لولب العنف بلولب التواصل المضطرب الذي يقود إلى قطيعة التواصل، عن طريق لولب الارتياب المتقابل اللا منضبط. إذاً لو يبدأ العنف باضطرابات تحدث في التواصل، فما أن ينفجر حتى يمكننا معرفة ما غاص فيه وما ينبغي إصلاحه فيه.

هي وجهة نظر مبتذلة: ومع ذلك يبدو لي أن بالمقدور ملاءمته مع الصراعات التي تتحدثين عنها. لا شك أن الأمر أكثر تعقيداً لأن الأمم، وأشكال الحياة والحضارات هي منذ البداية متباعدة عن بعضها البعض وتنحو إلى البقاء غريبة عن بعضها البعض. فهي لا تلتقي مثل عناصر حلقة، أو مجموعة، أو حزب أو عائلة والتي لا يمكن "تغريبها" عن بعض البعض إلا إذا شوه التواصل منهجياً. زيادة على ذلك، في العلاقات الدولية، لا يلعب وسيط القانون الذي تقوم وظيفته في احتواء العنف، سوق دور ثانوي، مقارنة بما جئنا على ذكره. أما في العلاقات بين الثقافات، فهو لا يفيد في أفضل الأحوال إلا في خلق أطر مؤسساتية تهدف إلى المواكبة الرسمية لمساعي التفاهم - مثلاً، مؤتمر فيينا عن حقوق الإنسان الذي نظمته الأمم المتحدة. ولا يمكن لهذه اللقاءات الرسمية منفردة قطع عمل آلة تصنيع الصور النمطية stereotypes - برغم أن لها أهمية النقاش بين الثقافات الدائر في مستويات متعددة بصدد الجدال في تأويل حقوق الإنسان.

إن العمل على فتح عقلية ما، لهو أمر يمر أولاً بتحرير العلاقات، وبالرفع الموضوعي للقلق والضغط. إذ ينبغي أن تنبني ثقة قصوى، في الممارسة اليومية للتواصل. وهذا ضروري كشرط أول لتحل محلها التفسيرات العقلانية في نطاق واسع في وسائط الإعلان، والمدارس والعائلات. ينبغي أن تتناول أيضاً المقدمات المنطقية للثقافة السياسية المعنية.

في ما يتعلق بنا، نرى في التمثيل المعياري الذي نحمله في أنفسنا إزاء الثقافات الأخرى في هذا السياق، عنصراً مهماً أيضاً. فلو شرع الغرب بمراجعة الصورة التي يحملها عن نفسه، لاستطاع، مثلاً، أن يتعلم ما يتوجب تغييره في سياسته كي يفهم الآخرون هذه السياسة على أنها سلطة قادرة على إعطاء شكل إلى مسيرة حضارية. ولو لم نستطع ترويض الرأسمالية سياسياً، وهي التي لم يعد تحدها اليوم لا خطوط ولا حدود، سيضحى من المحال السيطرة على تفرعاتها التخريبية في الاقتصاد العالمي.

لعل من الواجب في الأقل الموازنة في التبعات الأكثر تدميراً - أنا أفكر بالإذلال والتفقير الواقعين على مناطق وقارات بأكملها - وهو التفاوت الذي تجره ديناميكية التنمية الاقتصادية. فما وراء ذلك، ليس التمييز، والاحتقار، والمهانة فحسب، بالعلاقة مع ثقافات أخرى. وما وراء موضوعة "صدمة الحضارات"، ما يخفى وراءها، هي مصالح الغرب المادية الظاهرة (مصلحة الاستمرار في امتلاك المصادر النفطية وضمان التمون بالطاقة، مثلاً).

انهيار الطبقة الوسطى في المجتمع العراقي

الدكتور محمود شمال حسن
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

كثر الحديث بين اوساط المثقفين، فضلاً عن الباحثين في الحقول المعرفية المختلفة عن الضرر الذي لحق بالطبقة الوسطى في المجتمع العراقي، ولاسيما أثناء الضائقة الاقتصادية. وعلى الرغم من التحريم الذي فرض على هذه الموضوعات، فان عدداً من الباحثين والمفكرين، طرحوا في مناقشاتهم، وبتحفظ، بعض الآثار السلبية المترتبة على اضمحلال هذه الطبقة في المجتمع، واقترحوا بعض التوصيات التي من شأنها ان تعالج الانهيار الحادث في بنية هذه الطبقة. بيد ان هذه الطروحات ظلت حبيسة قاعات المناقشة بسبب خشية، مسؤولي النظام من مفاتحة رأس النظام نفسه بالتوصيات التي اقترحتها النخب المثقفة لمعالجة ظاهرة اجتماعية مثل الطبقة الوسطى، بل لقد وصل الامر إلى ان يرد احد رموز النظام السابق في احدى المناقشات التي عقدت في بيت الحكمة ببغداد على الطروحات التي تناولت خطورة انهيار هذه الطبقة بتهكم مفاده: "وما شأنكم انتم والطبقة الوسطى". وكأن افراد هذه الطبقة، مجموعة من الغرباء لا تجمعهم بالمجتمع اية صلة؛ ولعل ذلك يعكس طبيعة توجهات النظام ازاء المجتمع. وعلى ذلك نقول، ان التغيرات الاجتماعية - الاقتصادية التي شهدها المجتمع أدت إلى صعود بعض الافراد إلى اعلى السلم الاجتماعي ونزول آخرين إلى اسفله. إن نزول الافراد إلى اسفل السلم الاجتماعي لا يعود إلى عدم اتقانهم لادوارهم، وانما يعود السبب إلى التغييرات الحادثة، تلك التغييرات التي اتسمت بالانفلات؛ ولعل ذلك جعل الكثير من افراد هذه الطبقة يتعرضون إلى الفقر والحرمان.

وحتى لا نطيل في الحديث عن الاوضاع المزرية التي تعيشها الطبقة الوسطى، نجد من الضروري، استعراض الاسباب التي ادت إلى انهيارها.

١-تعرض القسم الكبير من افراد هذه الطبقة في المجتمع العراقي إلى الفقر والحرمان، اثناء الضائقة الاقتصادية، بسبب ان الاجور التي يتقاضاها افراد هذه الطبقة، ظلت ثابتة دون مراعاة التغييرات الاقتصادية، في المقابل ان العملة النقدية تعرضت إلى تضخم كبير جداً، بلغت نسبته استناداً إلى البيانات الاقتصادية (٢٠٠٠٪). وقد افضى ذلك، إلى ارتفاع الاسعار على نحو لا يصدق، وهو الأمر الذي اشاع الفقر بين صفوف هذه الطبقة.

٢-ومما زاد من فقر هذه الطبقة، أن النظام السابق اخذ يتخلى عن دعم السلع والمواد الاساسية، مكتفياً بحصة تموينية، لم توفر للفرد الواحد يومياً سوى اقل من (٥٠٪) من السعرات الحرارية في فترة ما قبل مذكرة التفاهم. وحتى في المراحل المتقدمة من المذكرة، لم تصل هذه السعرات إلى الحد الادنى الذي يوصي به برنامج الاغذية العالمي، ولعل ذلك كان سبباً اضافياً لزيادة عدد الفقراء المحرومين في صفوف هذه الطبقة.

٣-ان احجام الكثير من افراد هذه الطبقة عن الاسهام في نشاطات النظام السابق من قبيل: المشاركة في مهرجانات التقديس التي يعلن عنها بين فترة واخرى، او تذبيج قصائد المديح او رسم اللوحات الفنية التي تعبر عن عبقرية رأس النظام ونحو ذلك من النشاطات، هذا الاحجام، جعل هؤلاء يحافظون على دخولهم الشهرية دون أن يطرأ عليها زيادة، وقد واجه هؤلاء الافراد ازاء هذا الاحجام، صعوبات معيشية، وبهدف ايجاد الحلول المناسبة لهذه الصعوبات، لجأ بعضهم مضطراً إلى تقديم استقالته والهجرة خارج الوطن أو المتاجرة ببعض المواد الاساسية او شراء سيارة اجرة بعد بيع الممتلكات الاسرية او الدخول بصفة شريك في مشروع تجاري او المضاربة في العقارات والاراضي. ولعل ذلك كله، يستهدف تحسين سبل المعيشة، فضلاً عن اشباع بعض الحاجات الاساسية.

من ذلك يتضح، ان الكثير من افراد الطبقة الوسطى في المجتمع قد تعرضوا إلى الفقر والحرمان، وتلك اشارة صريحة، تشير إلى ان هذه الطبقة قد تعرضت إلى الانهيار، بعد ان كان افرادها يعيشون في رفاه ويسر. والحقيقة، التي لا بد من ذكرها هنا، ان انهيار هذه الطبقة، قد افضى إلى عدد من المشكلات النفسية والاجتماعية، ولعل من ابرز هذه المشكلات، اضطراب التراتب الاجتماعي، ونعني بالتراتب الاجتماعي المضطرب على وجه التحديد، إن المكانة الاجتماعية للفرد لا تقرر بموجب مؤشرات الكفاءة أو الجهد او التحصيل العلمي، وإنما تتقرر مكانته، استناداً إلى مؤشر واحد فحسب، كأن يكون مورده الاقتصادي او علاقته بمتخذ القرار وكونه محسوباً عليه أو موالياً له. اما شرط الكفاءة أو الجهد المبذول او التحصيل العلمي، فلا يراعى هنا في تقرير المكانة الاجتماعية.

واستكمالاً لتوضيح فكرة اضطراب التراتب الاجتماعي، نقول، إن الاستاذ الجامعي يحتل الترتيب (٤) في قائمة المهن من حيث المكانة الاجتماعية، بينما يحتل الترتيب (٢٥) في القائمة نفسها من حيث المكانة الاقتصادية. وإذا عقدنا مقارنة بين الاستاذ الجامعي ومهنة اخرى اقل مكانة، سنفاجأ في الحال من النتيجة التي تسفر عنها هذه المقارنة، وهذا يدل دلالة قاطعة، على ان التراتب الاجتماعي، قد تعرض إلى الاضطراب، بدليل، ان المطرب وهو اقل مكانة في قائمة المهن، احتل الترتيب (٧) في المكانة الاقتصادية، بينما احتل الترتيب (٧٤) في المكانة الاجتماعية.

ويغدو لا منطقياً، أن يتغلب الثاني على الاول بمكانته الاقتصادية، بعد ان تراجعت مكانة الاول الاجتماعية التي اصبحت بدورها لا تؤهله لأن يكون من أهل الجاه والحظوة. وإزاء تراجع المكانة الاقتصادية لبعض المهن التي كانت في يوم ما في اعلى السلم الاجتماعي وتقدم المكانة الاقتصادية لمهن هامشية او كادت تكون هامشية في يوم ما، يجد الشباب انفسهم، انه لا غضاضة من الدخول في عالم تلك المهن ومحاولة احترافها؛ بقصد التخلص من حالة الحرمان التي اخذوا يعانون منها جراء البطالة؛ وهو السبب الذي يفسر لنا كثرة اللاهثين من الشباب وراء الغناء، على الرغم من ان الكثير منهم لا يتمتع بحنجرة غنائية، فضلاً عن التذوق الموسيقي. إن كل ما يطمحون اليه، هو الوصول إلى المال بايسر الطرق دون ان يبذلوا أدنى جهد فيه.

ومن المشكلات النفسية المترتبة على انهيار الطبقة الوسطى، ضعف الابداع في المجتمع. وإذا علمنا ان العملية الإبداعية تقع على عاتق الطبقة الوسطى، لكونها الطبقة التي تشتمل على العلماء واساتذة الجامعات والاطباء والمهندسين وغيرهم من المهن المتميزة، التي لها الدور الكبير في بناء المجتمع وتقدمه، أدركنا خطورة انهيار هذه الطبقة، وعلى ذلك نقول، أن انهيار الطبقة الوسطى، سيقلل بشكل كبير عمليات الابداع في المجتمع.